عنصرين // جيلي بيلا صوفيا إيلان ونداف راوخفيرغر (ستوديو دافكا)

قَيِّمة: نيتسا كوهن مور

يُعد هذا المعرض نتاجاً لعمل فنانين في مجال الخزف يتشاركان تفاصيل الحياة والعمل والمسار الفني، ويتقاسمان الحيز المكاني فيما بينهما. يبدع كل من "جيلي إيلان" و"ناداف راوخويرغر" انطلاقاً من نقطة الالتقاء هذه؛ حيث تتلاقى ذواتهما وتتفاعل مع المادة الخام: الطين. واعتماداً على ما اكتسباه عبر السنين من معارف وتقاليد وتاريخ -سواء المشترك منه أو الشخصي- يستكشفان معاً آفاقاً جديدة، دامجين بين مختلف المواد والتقنيات والأشكال؛ فهي ثابتة وراسخة في وقفتها، بينما هو في حالة حركة دائمة، يختبر ويستكشف.

تُعد الأعمال المعروضة نتاجاً لذلك اللقاء؛ لقاءٍ يجمع بين المواد والمبدعين والطبائع. وقد استُمدت عناوين الأعمال من قصيدة "عنصران" للشاعرة "زيلدا"، التي تجمع بين شجر السرو والنار؛ وهما عنصران يمثلان قطبين متناقضين من أقطاب الوجود. فشجر السرو يضرب بجذوره عميقاً ويثبت في مكانه منتصباً، حاملاً في طياته ملامح المشهد الطبيعي والذاكرة والتاريخ، إذ يتسم نموه بحركة مستمرة تمتد عميقاً في باطن الأرض وتتجه صعوداً نحو السماء. وفي المقابل، تتسم النار بطابع ديناميكي؛ فهي تلتهم وتحرق وتُحوّل الواقع، لكنها تظل سريعة الزوال. وتتكرر صورة شجر السرو في أرجاء المعرض، مقترنةً بالنار بوصفها جزءاً لا يتجزأ من هذه العملية.

في سلسلة "هو يعلم أن في داخله جنوناً" ، أُنجزت أشكال أشجار السرو باستخدام تقنيات وأساليب متنوعة، شملت التشكيل على العجلة الخزفية، والبناء بطريقة اللفائف الطينية، وتفريغ كتلة صلبة من الطين. ويتكرر الشكل الأساسي ذاته بأحجام وخصائص مادية متفاوتة؛ إذ تتسم السلسلة بقدر كبير من الحرية وروح التجريب والمرح. وتترك كل تقنية بصمتها المميزة؛ ففي بعض الأحيان يكون البناء تدريجياً، بينما ينبثق الشكل في أحيان أخرى من كتلة صلبة واحدة. وإلى جانب أشكال السرو، تضم السلسلة أعمالاً تحمل عنوان "شيءٌ يضطرب في داخلي" ؛ وهي قطع نحتية تبدو وكأنها تحاول -دون نجاح- احتواء مادة جامحة وفائرة. تُعدّ هذه الطبقات —أو الشظايا— جزءاً من صوتها؛ فهي تكشف عن الجوهر الداخلي والمادة ذاتها التي تُشكّل كيانها. ففي سلسلة "هناك تشابه" ، يصبح الفراغ —أو "العدم"— جزءاً لا يتجزأ من العمل؛ إذ إن ذلك اللقاء، وتلك المساحة الفاصلة بين القشور، هما ما يبتكران الصورة: صورة شجرة السرو. أما في سلسلة "السرو الصامت" ، فتُضغط المادة لتُصاغ في قالبٍ تام ومُتقن، مُنتجةً أشكالاً متطابقة تتكرر بأحجام متفاوتة، وكأنها غابةٌ متراصة ومجتمعة معاً. وأخيراً، يحمل عمل "فخر عتيق" في طياته ذاكرةً تاريخية؛ فهو "نسخة" تحاكي إناءً يونانياً كلاسيكياً، ويُعدّ نصباً تذكارياً لأيامٍ ولّت. ومع ذلك، فهي نسخة غير دقيقة ولكنها زاخرة بالدلالات، ومُزدانة بأشجار السرو ذاتها التي تتكرر في أرجاء المعرض كلحنٍ عتيقٍ ومتجدد في آنٍ واحد.

تضع "زيلدا" شجرة السرو والنار جنباً إلى جنب؛ فهي تسعى للبقاء في رحابهما، لا لتختار بين هذين النقيضين، بل لتسكن الحيز الذي يتشكل بينهما. ترمز شجرة السرو إلى المادة، بينما تمثل النار لحظة الانطلاق، وهي في الوقت ذاته نقطة اللاعودة؛ تلك اللحظة التي تصبح فيها العملية أقل قابلية للتنبؤ وأقل خضوعاً لتحديد مسبق، وفي آنٍ واحد، تعمل على تثبيت الشكل والمستقبل. ومن هذا التوتر تحديداً ينبثق العمل المشترك بين "إيلان" و"راوخويرغر": فيما يختاره كل منهما ليحمله معه، وما يتمسك به، وما يتركه ليخضع للتحول. إنه عمل يستكشف مواضع النار ومواضع الاستقرار، والأهم من ذلك، يتقصّى مكان ذلك الرابط — أي الحيز الفاصل بينهما.

عنصران // زيلدا

تقول الشعلة لشجرة السرو:
حين أراكِ
تتمتعين بهذا السكون،
وتتزينين بذلك التعالي،
تثور في داخلي نارٌ عارمة—
كيف يتسنى للمرء أن يعبر هذه الحياة،
هذه الحياة الرهيبة،
دون ذرة من جنون،
ودون ذرة من روحانية،
ودون ذرة من خيال،
ودون ذرة من حرية،
مكتفياً فحسب بكبرياءٍ عتيقٍ وكئيب؟
لو كان بوسعي، لأحرقتُ
ذلك النظام
المعروف بفصول السنة
واعتمادكِ الملعون
على الأرض والهواء والشمس والمطر والندى.
تقف شجرة السرو صامتةً؛
فهي تدرك أنها تختزن الجنون،
وتختزن الحرية،
وتختزن الخيال،
وتختزن الروحانية—
لكن اللهب لن يفهم،
ولن يصدّق.

زيلدا، **قصائد زيلدا**، دار نشر "هاكيبوتس هاميوحاد"، تل أبيب 1985

الترجمة باستخدام AI